مدينة "المنيعة" من القرن 9 ميلادي إلى الثلث الأول من القرن 19ميلادي، من خلال المصادر التاريخية

The city of El Menia from the 9 th century to the first third of the 19th century, through historical sources

د. نواصر عبد الرحمان – المركز الجامعي أمين العقال الحاج موسى أق أخموك– تمنغست(الجزائر)

nouacerabd@gmail.com

تاريخ الإرسال:2020/04/09	تاريخ القبول:2020/05/07	تاريخ النشر 2020/05/30

ملخص البحث

تشمل الدراسة على توضيح مفصل لدور التراث المادي واللامادي في كتابة تاريخ مدينة، ونخصّ هنا تراث مدينة المنيعة الذي يستقطب منه القصر القديم الذي بني مابين القرن 9م والقرن 10م من طرف قبيلة زناتة، ونوضح سبب بنائه في هذا المكان، سكانه بمختلف شرائحهم الاجتماعية، وعلاقاتهم بالمناطق المجاورة، ونركز على أهم حكامه ومن بينهم الملكة "مباركة بنت الخص" والتي تمثل صورة من صور الموروث اللامادي للمدينة كونها ملكة امتازت بجمالها وذكائها وحكمتها، وسنوضح حقيقة علاقتها بالقصر القديم مع ذكر أهم الحكم والأمثال المنسوبة لها التي مازالت تتوارث من جيل لآخر. بعدها نشير إلى كيفية انتقال الحكم من القبائل البربرية إلى العرب حسب الروايات.

الكلمات المفتاح : المنيعة، تاوريرت، القليعة، القصر القديم، مباركة بنت الخص.

Abstract:

The study includes a detailed explanation of the role of the tangible and intangible heritage in writing the history of a city. Specifically here is the heritage of the city of El-Menia, from which the old palace built between the 9th century and the 10th century AD is drawn by the Zenata tribe, and we explain the reason for its construction in this place, its residents with different social classes, and their relations with the regions Neighboring, and we focus on the most important rulers, including the Queen "Mubaraka bint Al-Khas", which represents a picture of the intangible heritage of the city

المرسل:nouacerabd@gmail.com

being a queen who was distinguished for its beauty, intelligence and wisdom, and we will explain the fact of its relationship with the old palace with mentioning the most important rule and the attributed proverbs that are still inherited from one generation to another. Then we refer to how the rule transferred from the Berber tribes to the Arabs according to the accounts.

Keywords: El Menia, Taourirt, El-Golea, The Old Palace, Bint Al-Khas.

مقدمة:

الدراسات التاريخية التي تعرضت لتاريخ مدينة المدينة خاصة في الفترة الحديثة تكاد تكون منعدمة، ويعود ذلك لعدة أسباب من بينها غياب وندرة المصادر التاريخية من مخطوطات وغيرها التي تكلمت عن هذه المدينة، والبعض منها تكلم عنها في جزئية من تاريخها من الناحية الوصفية، وأقفلت عن تقديم معلومات كافية تشير للجانب السياسي والاجتماعي والثقافي والاقتصادي، مثل ما ورد في "رحلة العياشي"، وهناك من اكتفى بالإشارة إليها مثل "ابن خلدون" في كتابه العبر كل هذا يجعل من الدارس لهذه الفترة أمام صعوبة تتمثل في شحّ المعلومات، ولذلك نجد الكثير من الزوايا بقيت مظلمة وتحتاج لمن ينيرها، ومن هنا سنتعرض لأهم المصادر التاريخية لكتابة تاريخ مدينة المنيعة في الفترة الحديثة، منها ما هو يتعلق بالتراث المادي مثل المعلم الأثري المتمثل في القصر القديم، ومنها ما يتعلق بالتراث اللامادي مثل الشعر الشعبي والحكم والأمثال المتوارثة من جيل لآخر مثل ما ورد عن أسطورة "مباركة بنت الخص"، ولتناول هذا الموضوع سنجيب على هذه التساؤلات والتي من بينها: فيما تمثلت هذه المصادر التاريخية؟ وما هي قيمة المعلومات التي قدمتها؟ وإلى أي مدى تمّ استخدام التراث اللامادي في كتابة تاريخ المدينة؟

أولا:القصر القديم ودوره في كتابة تاريخ مدينة المنيعة:

تسمى المنيعة قديما "تاوريرت" وتعني في اللغة البربرية: المكان العالي، فوجود القصر في قمة الربوة يدل على ذلك[1]، ونجد اسم "القليعة"- (EL-Golea) بالفرنسية- تصغير لاسم قلعة أي نسبة للقصر القديم الذي يشبه بنيانه القلعة الحصينة، وهناك رواية أخرى أنّ سكانها كانوا يسكنون في المنطقة السهلية الخاصة بمجرى وادي صغر، ونتيجة للهجومات المتكررة من طرف

الغزاة أقلع سكانها من الأسفل إلى أعلى الجبل بعد بنائهم للقصر، ثم لتعرف باسم المنيعة إلى اليوم: وذلك لوجودها في مكان منيع عن العدو يصعب الوصول إليه[2].

1- تاريخ انشاء القصر:

حدث اختلاف في تاريخ بناء القصر، حيث نجد بعثة "شوازي" الفرنسية 1879م/1880م التي كانت تتتبع مسار مشروع السكة الحديدية في الصحراء سلطت الضوء على القصر فوجدت قبر في سفح الجبل من الناحية الشرقية يعود للعهد الغرمنتي لكن الدراسات التحليلية للقصر وجدت أن البناء لا يعود إلى الفترة القديمة ، فحسب الدراسات الأثرية للقصر رجحت بأنه بني ما بين القرن 9م والقرن 10م،ممن طرف قبائل زناتة البربرية التي كانت تبحث عن الأمن والاستقرار خاصة بعد أن يعرف المغرب العربي "الهجرة الهلالية"[3]، مما دفع الكثير من القبائل البربرية الهجرة نحو الصحراء وبناء العديد من القلاع من بينها القصر القديم بالمنيعة. ويحدد مولاي بلحميسي عندما استقر الخوارج بسدراتة بعدما غادروا تاهرت سنة 908م، ثم استولى عليه الشعانبة سنة 1560م[4].

2-دراسة عمرانية للقصر[5]:

حسب الطالب حما بالحاج[6]استغرق بناء القصر 12 سنة، ويعوذ هذا إلى الطبيعة الجبلية التي بني عليها القصر، والتي تتطلب وقتا لنقل مواد البناء من الأسفل إلى الأعلى، كذلك عملية الحفر في الصخر أو الطين، التي تحتم على البناء مسايرة تكييف البناء ووضعية الجبل بحيث يصبح له شكل ذا طابع جمالي وفي نفس الوقت مقاوم لعوامل الطبية من الزوابع الرملية، والحرارة في فصل الصيف والبرودة الشديدة في الشتاء، والأمطار الفجائية التي كثير ما تسبب فيضانات في المنطقة، وتمّ استعمال مواد محلية تتوفر عليها المنطقة من: حجارة وطين، وجذوع النخيل وجريدها للتسقيف.

مكونات القصر:

يتكون القصر من ثلاثة أسوار، ما بين كل سور وآخر مباني حتى نصل إلى القمة مشكلا في الأخير شكلا مخروطيا.

أ–القسم الأول: شبه مستطيل مدخله الوحيد من الناحية الغربية، وأطواله كالآتي: الطول: 85.2 م، العرض من الجهة الشمالية 13.60م، من الجهة الجنوبية 17م، توجد به مباني قليلة دلت عليها الأساسات مما يدلّ على تخلي السكان عنها لأسباب أمنية منها تعرضهم لهجمات الغزاة، بالإضافة لوجود ما يعرف "**بالرحبة**" في الجهة الشمالية الغربية من القصر وهي مسورة بحائط مخصصة لدخول القوافل القادمة من أجل التبادل التجاري تفاديا للغارات المفاجئة.

ب–القسم الثاني: يعدّ أكثر تركزا من حيث المنشآت العمرانية، وذلك للمساحة المعتبرة التي يوفرها من جهة ومن جهة أخرى منيع عن العدو، وبالتالي يعتبر القلب النبض للقصر ومركز نشاطه، بل أكثر من ذلك تقع به :

–"القصبة" :

في الجهة الشمالية، وهي متميزة في طريقة بنائها عن المباني الأخرى بارتفاعها قليلا عن المباني الأخرى لمكانتها، وهي مفصولة عن الرعية بسور يتوسطه باب ومن مكوناته: دار الملكة في الجهة الشرقية، ويقابله برج للمراقبة والحراسة داخل وخرج القصر من خلال الفتحات الأربعة المحيطة به، ولإستراتيجية هذا القسم يحتوي هذا البرج الدفاعي على البئر الذي يزود القصر بالماء دون النزول إلى الأسفل ولكسر حصار العدو مهما طالت مدته، وهذا ما يثبت اسم "المنيعة"، عمق هذا البئر 40م ويذكر بأنّ هذا البئر له علاقة ببئر أخرى بعيدة عنه بحوالي 1500م، وتفطن السكان له عند رميهم لشيء ما في البئر يدونه قد خرج في البئر الثانية بمنطقة الفياضة، وهذا ما يجعلنا نطرح تساؤل هل هذا البئر به ممر سري يربط القصر بهذه المنطقة، خاصة أنّ المنيعة عرفت نظام الفقاقير للري مثل منطقة توات[7]، ويحتوي هذا القسم على المباني الخاصة بالرعية في الجهة الجنوبية الغربية، وهي بذلك تحتل مساحة معتبرة من القصر تقدر بحوالي 120م طولا، عرض 20م، ونشير هنا أنّ هذه المنازل مبنية فق بعضها البعض، أو محفورة في صخور القصر، والشيء الملفت للانتباه عند التدقيق في هذه الحجر المحفورة تنبئ أنها وفرت وسطا طبيعيا لتخزين المواد الغذائية، أو وسط ملائم لتكييف درجة الحرارة حسب الفصل لتوفير الراحة للسكان مما يدل على فطانة السكان ودرايتهم الكبيرة بأحوال الطبيعة وكيفية مواجهتها.

–المسجد: حسب الدراسات بني في فترة متأخرة لكون السكان الأوائل للقصر لم يكونوا مسلمين، ودلت على ذلك المقبرة التي تقع إلى الغرب من القصر.، فبعض القبور لما ننظر لها لم توجه نحو القبلة، وأخرى موجهة نحو القبلة دلالة على أن السكان لما اعتنقوا الإسلام أصبحوا يدفنون موتاهم على حسب ما تقتضيه الشريعة الإسلامية، وحتى عند مقارنة طبيعة المواد التي بني بها المسجد نجدها أكثر حداثة من بقية المواد التي بنيت بها بقي مباني القصر، وشكل المسجد مستطيل يتكون من صحن مكشوف، وقاعة للصلاة مكونة من أربعة أروقة أكبرها رواق القبلة حوالي 2م.

ج– القسم الثالث: يقع في قمة الجبل التي تمتاز بدورها بالاستواء، ويسمى "بالجماعة الفوقانية" لكونه نقطة اجتماع كبار القوم لتسيير شؤون العامة، وبتكون من 12 غرفة مستطيلة الشكل، منفتحة على بعضها البعض أي بدون أبواب.

د– الأزقـة:لقصر المنيعة ممر رئيسي يساير السور الثاني طوله 110موعرضه2.70م، وتتفرع منه ممرات ثانوية تؤدي إلى جهات مختلفة من القصر، ومنها تمكن السكان التنقل والاتصال بجميع النقاط، ونشير هنا أن هذه الممرات مغطاة وبذلك توفر الجو المناسب لتنقل سكان القصر حتى في الظروف الطبيعية القاسية.

–أهمية القصر القديم في كتابة تاريخ المنيعة:

–من الشواهد المادية التي تؤرخ لمدينة المنيعة على الأقل منذ القرن 9 والقرن 10م.
–أعطى صورة واضحة عن الشعوب التي سكنت المنيعة، وحددت طبيعة العلاقات بينهم بين بقية المناطق.
–لفت انتباه الرحالة الذين مروا بالمنطقة، وان لم يتمكنوا من دخول القصر لكن قدموا لنا صورة واضحة عن حاكمها، وإلى من كانت المنيعة تابعة سياسيا في فترة زيارة العياشي.
–عكس لن النمط المعماري للمنطقة والإستراتيجية الدفاعية للمدينة حتى أصبحت منيعة أمام ضربات العدو.
–عكس مدى التداخل بين مدينة المنيعة وبقيت مناطق مجرى وادي صغر.

-لم نعثر على الطريقة التي استحوذ بها العرب على القصر القديم، باستثناء ما ورد عمد الطالب حما بلحاج فيشير إلى نوعية العلاقات بين سكان القصر والعرب، فيصفها بالحسنة، حتى نهاية القرن 17م، وقعت حادثة أدت إلى توتر العلاقات بي الجانبين تمثلت في قدوم رجلان من قبيلة بني هلال للتجارة مع سكان القصر، وبسبب خلاف بينهما وسكان القصر أدى إلى مقتلهما غدرا، وتستر سكان القصر على القضية رغم بحث العرب عن الرجلين وظنوا أنهم ماتوا عطشا في الصحراء، وبعد فترة حدث شجار بين شخصين في القصر فقضى أحدهما على الآخر، وفرّ إلى خيام العرب وحكى لهما قصة الرجلين، فعزموا على الانتقام وتربصوا حتى تحين الفرصة، وجاء عام فيه الجفاف، فأرسلوا غلى سكان القصر يعلمونهم بأنهم عازمون على بيع الغنم، ففرح سكان ونزلوا قصد الشراء والعرب من أجل الثأر، ففتكوا بهم وكان يقود العرب "قاسمي بعاج"، وفرّ العبادي حاكم القصر ولحقوا به في مكان يعرف بـ: غور ورقلة 25 كم شرق المنيعة، حيث كان متجها لحاكم وقلة، ومن تمّ أصبح القصر تحت سلطة العرب : الماضي، أولاد فرج، أولاد زيد، أولاد سيد الحاج يحي، وأولاد عائشة، فكانوا يقضون الشتاء والربيع في البادية من أجل الرعي، والصيف والخريف في القصر، وكان حكمهم جماعي شوري يحتكمون للأحكام الشريعة الإسلامية على مذهب الإمام مالك، واهتموا أمور التعليم ضمن المدرسة القرآنية التي أسسها " سيد الحاج يحي" الموجودة بجنب القصر القديم، واستمرّ الوضع كما هو عليه حتى الدخول الفرنسي للمنيعة سنة 1873م[14].

ثانيا–علاقة الملكة مباركة بنت الخص بالقصر القديم:

لم نعثر على أية وثيقة أو مصدر يشير إلى مباركة بنت الخص وعلاقتها بقصر مدينة المنيعة، باستثناء ما تردد تناقل من الأجداد إلى الأحفاد عبر الرواية الشفوية ضمن التراث اللامادي من قصص، وحكم، وأمثال، شعر ملحون، ومن الدراسات الغربية التي سلطت عليها الضوء دراسة "ربني باسي" في المجلة الإفريقية تحت عنوان " أسطورة مباركة بنت الخص"، قام هذا الأخير بدراسة حول شخصية بنت الخص، وما نسب إليها من حكم وأمثال، وذكر أنها من قبيلة بني عامر الهلالية، تولت زمام الأمور عن أبيها لفطنتها وذكائها الخارق، والشيء الملفت للانتباه أنّ شخصية بنت الخص موجودة على مستوى المشرق العربي، وموجودة على مستو المغرب العربي وفي فترات

زمنية متباعدة جدا، فعلى مستوى المشرق هناك من يعيدها إلى آخر ملوك الحيرة "النعمان"، لكن الوارد أنّ ابنته اسمها "هندّ، ونجد عند ابن العربي باسم بنت الخُس بن جبير بن قريط العيادي، وبالتالي في المشرق تعرف ببنت الخُس العيادية.

على مستوى المغرب العربي مباركة بنت الخص الهلالية من قبيلة بني عامر، وموضوع "مباركة بنت الخص"موضوع شائك ومتداخل من حيث الحيز الجغرافي، كون نفس الاسم يردد على كامل مجرى وادي صغر الذي يبدأ من سفوح جبال عمور حتى المصب في مدينة المنيعة، ونجد قصور دفاعية أخري تنسب لنفس الملكة منها: قي منطقة القور ببريزينة، وقصر بنت الخص بمنطقة عين العمارة، ثمّ قصر القديم بمدينة المنيعة(8).

من خلال تتبعنا لتطور الأحداث التاريخية، ومن خلال الرواية الشفوية نجد أنّ مباركة بنت الخص أنها عاشت ما بين القرنين 14م والقرن 15م، حوصرت في قصرها بمنطقة القور ببريزينة من قبل السلطان لكحل حاكم قصر أربوات–من قبل بني مرين(أبو الحسن المريني 1331–1351م)، طمعا في سببيها الذي انتهى به القتل على يد أحد أبناء سيدي معمر بلعالية جد البوبكرية.– استطاعت بنت الخص بذكائها التخلص من هذا الحصار، وحسب "باسي" قامت بنشر الغسيل حتى يعتقد العدو بأن لها الماء الكافي فرفع الحصار.

أما عن الحصار الذي تعرضت له بنت الخص في القصر القديم يرجح أنه من قبل الطوارق الغزاة لمدة طويلة(9)، من أجل إجبار سكان القصر على الاستسلام تحت تأثير الجوع، فاهتدت السلطانة إلى الحيلة لكسر هذا الحصار فبدأت بتنفيذها:

في اليوم الأول أمرت بغسل برانيس الرجال البيضاء ونشرها لتوحي للمحاصرين أن السكان ليس لهم مشكلة في التزود بالماء، وخاصة أنّ القصر مزود ببئر يفي بالغرض فعليا.

في الليل أشعلت نيران كبيرة على نقاط مختلفة من القصر، إشارة بأن السكان لهم ما يكفي من الحطب لطهي الطعام.

ثم قامت بإطعام عنزة بالشعير جيدا وأطلقتها فلماّ ذبحها الطوارق، اعتقدوا بأن سكان القصر لديهم ما يكفيهم من الشعير، علما بأن ما أكلته العنزة يعتبر آخر مؤونة لسكان القصر، لكن الطوارق انسحبوا وتمكنت السلطنة بحيلتها من قض الحصار.

من الروايتين نلاحظ تشابه كبير في أحداث الحصارين سوآءا على مستوى قصر بريزينة أو على مستوى القصر القديم على مستوى مدينة المنيعة.

المتتبع للحكم والأمثال التي نسبت لبنت الخص نجدها تردد على كل هذا الحيز الجغرافي لمجرى وادي صقر وبنفس الأسلوب والمعنى من بينها: قالت بنت الخص لأبيها :<<ثلاثة يصفروا الوجه وثلاثة يحمروا الوجه>>، قال لها أما هما الثلاثة إلي صفروا الوجه، قالت له:<< مشية الحفا، ورفود القفا، والمرأة التالفة>>، قال لها أما هما الثلاثة الي يحمروا الوجه قالت له:<< الى يعرف النسب، والى يعرف بنات النسب، والى يقنع بالنصيب الي يكسب>>، ومن ما نسب لها أيضا : – سلطاني في الكف خير من عشرة في التلف.

فقضية بنت الخص والقصر القديم بالمنيعة يصعب الجزم فيها، من حيث إطارها الزماني، وهل سكنت القصر بالفعل، ما دام القصر بني في فترة سابقة لها، وإذ سكنته وحكمته كسلطانة كيف آلت لها السلطة، من القبائل الزناتية إلى بني هلال، تبقى أسئلة مطروحة، بسبب غياب الوثائق والمصادر، وتبقى تردد ضمن التراث الشعبي، خاصة أنّ هناك روابط كبيرة بين منطقة البيض وبريزينة والمنيعة من الناحية الاجتماعية والثقافية، وهو الأمر الذي يجعلنا نرجح شخصية مباركة بنت الخص توافدت مع الهجرة الهلالية من المشرق العربي، ومع مرور الزمن وجدت على مستوى المغرب، وحيث ما وصلت هذه القبائل تردد هذه الحكم، والأمثال، وقضايا الزواج، وأقوال تتعلق بالفروسية، والجمال، وغيرها من الأمور الحياتية الخاصة بطبائع الإنسان العربي.

ثالثا: صورة المنيعة من خلال الرحلة العياشية:

من المناطق التي حظيت باهتمام الرحالة العياشي، وهو عابر للصحراء الجزائرية، مدينة المنيعة التي زارها في 23 ديسمبر 1662م، حيث قدم وصفا لها يعدّ من أهم المعلومات التاريخية التي تستند لمصدر يؤرخ للفترة الحديثة للمدينة حيث يقول:<< نزلنا بالقليعة، تصغير قلعة، وهي قرية

حصينة على حجر صلد، في سفح جبل منقطع عنه، وبها آبار كثيرة طيبة الماء، ونخيل ليس بكثير. وهي من طاعة سلطان واركلا، وبها عامله، وهمته على قدر همة مستعمله. وقد أخبرني من رآه أسود حافي الرجل عاري الرأس، ....، ومع ذلك يتحاكم إليه أهل قريته ويذعنون لأمره، وبهذه القرية كان ينزل الشيخ سيدي أبو حفص ابن الولي الصالح سيدي عبد القادر بن محمد بن سليمان ابن بوسماحة، ويعرف عند أهل بلده بسيدي الشيخ،...، وله حرمة وصيت في هذه النواحي في بلها وصحرائها>>[10].

–الاستفادة التاريخية من هذه الرحلة:

–قدمت لنا معلومات كثيرة وقيمة وان جاءت مختصرة، حيث قدم لنا الاسم الذي كانت تعرف به المدينة وهو القليعة تصغير لقلعة.

–العلاقة الوطيدة بين أهل المنيعة ومنطقة البيض وبريزينة ولبيض سيد الشيخ، لوجود سيد الحاج بحوص بن الولي الصالح سيد الشيخ. الذي توفي سنة 1660م ودفن بالبيض بقرية بوسمغون، مما يشير إلى وجود مثل هذه الشخصيات بالمدينة، وهو الذي طلب من "سيد الحاج يحي"[12] أن يرتحل من مدينة تميمون إلى مدينة المنيعة معلما للقرآن وعلوم الدين بعد أن استأذن شيخه "أبو محمد الجزولي".

–حددت لنا فترة زمانية تاريخية بشكل دقيق وهي نهاية سنة 1662م، والوضعية السياسية للمدينة من حيث من كان يحكمها، وإلى من كانت تابعة، حيث أشار بأنها تابعة لسلطان ورقلة، وهو"مولاي علاهم بن محمد الذي حكم مدة طويلة تصل إلى 29 سنة من سنة 1649م إلى 1669م[13].

رابعا: المنيعة من خلال رحلة الأغواطي الحاج بن الدين:

أشارت الرحلة التي كتبت مابين 1826 و1828م إلى موقع المدينة بين الرمال، وسكانها من الشعانبة، والإشارة إلى المدينة ليس لهل سور دلالة على أنه لم يصعد إلى سكان القصر واكتفى بسكان القرية الموجودة في أسفل ربوة القصر[14].

–الاستفادة التاريخية من هذه الرحلة:

– نجد الرحلة تعرضت إلى المدينة بشكل عابر، ولم يشر صاحبها إلى وجود علاقة بينه وبين سكان المدينة تجعله يعرف ما يجري فيها بدقة واكتفى بوصف المدينة.

–في وصفه المدينة تقع بين الرمال تجعنا نشكك بأن ما قصده هي المنيعة بالضبط، ربما كان يقصد قرية تماسين التي تقع إفي العرق الغربي الذي يجاور مدينة المنيعة ،كون هذه الأخيرة الرمل يحيطها بها فقط من الناحية الغربية بواسطة العرق الغربي أما الشرق فنجد الجبل والقلعة المتمثلة في القصر القديم لا تحيط بها الرمال، ولا حتى السكان الذين سكنوا جوار القصر لم تكن الرمال تحيط بهم وإنما سكنوا سهل الوادي.

خاتمة:

عرضت لنا المصادر التاريخية التي قمنا بدراستها والتي لها علاقة بتاريخ مدينة المنيعة، معلومات جدّ هامة وإن كانت قليلة إذا ما أردنا الإحاطة بجميع الأحداث التي جرت في هذا الفترة، لكن أعطت لنا مجالا رسم معالم تاريخ هذه مدينة، خاصة المعلم الأثري القصر القديم الذي بقي شامخا لما استطعنا أن نرسم تلك الصورة التي تجزم يقينا أنّ هنا مدينة تسمى"القليعة" لها ما لها من أحدات رسمت معالم تاريخها ومدى قدمها، وعكست سمتها الحضارية التي جعلتها تتموقع مابين المدن التاريخية من الناحية العمرانية حيث أبدع سكان القلعة في جعلها صرحا يوفر جميع متطلبات الحياة لسكانها أمام قساوة الطبيعة وأمام هجمات الأعداء. أما الرحلة العياشية استطعنا أن نحدد الإطار الزماني الذي كانت فيه المنيعة تابعة لسلطان ورقلة خلال القرن 17م، وكيف هي صورة هذا الحاكم، والإشارة إلى تلك العلاقة التي تربط المنيعة بمنطقة البيض وبريزينة تاريخا وذلك عند إشارته ، لوجود سيد الحاج بحوص بن الولي الصالح سيد الشيخ. الذي توفي سنة 1660م ودفن بالبيض بقرية بوسمغون، وعكست لنا قصة مباركة بنت الخص وهي من القصص الأسطورية مدى مساهمة التراث الشعبي في رسم صورة المنيعة التاريخية، والنطاق الجغرافي الكبير لهذه الملكة إلي يمتد من منبع وادي صغر إلى مصبه في المنيعة جنوبا.

لذلك نقول كتابة تاريخ مدينة المنيعة مرهونة بمدى توفر المادة التاريخية بمختلف أنواعها، و إخضاعها لمنهج دراسي أكاديمي في معالجتها ومدى اهتمام الدراسات بتاريخها في مختلف أطوارها التاريخية، خاصة لما تكون الدراسة معتمدة على المصادر المحلية والمصادر الأجنبية ومنه تتضح نظر الطرف الآخر والمتمثل في الكتابات الغربية عن هذه المدينة.

الهوامش:

1-طالب حما بلحاج: تاريخ مدينة المنيعة منذ تأسيسها حتى دخول الغزو الفرنسي، منظمة المجاهدين المنيعة، لم ينشر بعد، ص1.

2-كثيرا ما كانت مدينة المنيعة مفر للمطلوبين من طرف رحال السلطة في الشمال، مثل فرار "صغير بن عامر" إلى المنيعة الذي ساءت علاقته مع المرنيين الذين سيطروا على تلمسان سنة 1337م، وأخذ في التقرب من السلطان الزياني، أنظر كذلك، الطالب حما بلحاج: المرجع السابق ص1، يذكر أنها منعت الفارين من مقتل زعيمهم الهلالي الذي زوج ابنته للأمير المغراوي "عباس بن منديل".

3-الهجرة الهلالية: كانت في عهد المستنصر بالله الفاطمي (1035م-1094م)، لما انفصل المعز بن باديس نهائيا عن الدولة الفاطمية، فقام الوزير "اليازوري بإغراء القبائل العربية المقيمة على حدود مصر الشرقية بالوجه القبلي مثل : بني هلال وسليم، وأمدهم بالمال والسلاح وحقق بذلك هدفين: التخلص من شغب وفساد هذه القبائل بأرضي مصر، ولانتقام من الزيريين، انظر: مصطفى أبو ضيف أحمد عمر: القبائل العربية في المغرب في عصري الموحدين وبني مرين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1982م، ص60.

4-مولاي بلحميسي: الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، ش.و.ن.ت، الجزائر 1979،هامش ص79.

5-اعتمدنا في هذه الدراسة العمرانية على دراسة قام بها : محمد كنتاوي : متخصص في علم الآثار، دون ذلك في محاضرة ألقاها بمتحف المنيعة سنة 2011م،ص ص1-9.

-دراسة قام بها: يحي كوفالتشوك: متخصص في الأرشيتاكت، وضع مخطط للقصر، وقياسات خاصة بالبئر الموجود داخل القصر.

6- تعريف الطالب حما بلحاج:من مواليد 1900م بالمنيعة، حفظ القرآن ، انتقل بعد ذلك إلى وقروت عند الشيخ ملاي أحمد حيث تعلم الفقه والسيرة ، وأخذ عن الشيخ باي وغيره من علماء منطقة توات، وعلماء

شنقيط، عرف باطلاعه الواسع لتجواله الكبير بين دول المغرب والمشرق، كان له اتصال بجمعية العلماء المسلمين، وله علاقة خاصة بمصالي الحاج،، سجن بسجن لمبيز، لمدة سنة، من العناصر البارزة في مدينة المنيعة والمؤسسة للعمل الثوري بمدينة المنيعة حتى الاستقلال، له مؤلفات منها: الاستبداد في علم الاجتماع، تاريخ المنيعة، توفي سنة 1982م

7- للمزيد من التفصيل عن نظام الري في مدينة المنيعة عد إلى محاضرة" السياسة الفرنسية الاستعمارية في مدينة المنيعة (العسكرية، الدينية، الاقتصادية) 1873 إلى 1962م، ساهمنا بها في الملتقى الوطني : السياسة الاستعمارية الفرنسية في الصحراء الجزائرية" نوفمبر 2014م الذي نظمته جامعة غرادية " مخبر الجنوب الجزائري للبحث في التاريخ و الحضارة الإسلامية، ص ص 1-13، وانظر كذلك:

-Geneviève Capot-Rey :L'Eau et le sol a El-Goléa : Revue Travaux de de l'institut de Recherches Sahariennes, université d'Alger, Tome XVII, 1er.2me semestre,1958,pp83-126.

8-Rene .Basset : La Légende de Bent El Khass, R.A. Vol,49,1905, pp18-34.

9-ورد في مقال ريني باسي في المجلة الإفريقية في المقال المعنون "أسطورة مباركة بنت الخص" أن الحصار الذي ضرب من طرف الطوارق على القصر القديم في المنيعة دام 7 سنوات، لكننا نستبعد هذه المدة الطويلة وذلك لعدة اعتبارات منها:

- مساحة القصر لا تسمح بتخزين مؤونة تكفي كل هذه السنوات، خاصة أنه ورد في القصة أنها أطعمت العنزة ما بقي من قمح.

- كيف للطوارق أن يصمدوا كل هذه السنوات بدون أي نشاط يرتزقون منه، وما الهدف الذي يجعلهم يبقون كل هذه المدة، إلا إذا كان القصر به كنوز تسيل لعاب هؤلاء تعوضهم على المدة التي أبقوا عليها الحصار.

10-العياشي (1628-1679م)، من قبيلة آبت عياش قرب تافلالت، تتلمذ على يد أبيه الذي كان شيخ زاوية، أكمل تعليمه في فاس على يد الكثير من شيوخ تلك الفترة، ثمّ انتقل إلى المشرق العربي طالبا للعلم، المرة الأولى سنة 1649م، و المرة الثانية 1653م، والمرة الثالثة سنة 1661م، له عدة مؤلفات في الفقه، والتصوف، وفي التراجم، ورحلته التي سماها " ماء الموائد" وضمنها أخبار وشواهد وحوادث مختلفة شاهدها أو سمعها، وأهم ما فيها وصف طريق الصحراء والسكان وأحوال معيشتهم من بينها ما يخص الجنوب الجزائري. توفي العياشي بالمغرب الأقصى سنة 1679م بسبب الطاعون، انظر سالم العياشي: الرحلة العياشية، ماء الموائد، وانظر: مولاي بلحميسي: الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، ش.و.ن.ت، الجزائر 1979،ص ص17-18.

11- سيد الحاج يحي بن سيدي محمد بن عبد الله، ولد بمدينة فاس سنة 1586م وتوفي سنة 1649م بمدينة المنيعة، جاء إلى المنيعة بطلب من سيدي الحاج بحوص قادما من مدينة تميمون ليعلم القرآن وعلوم الدين بعد أن استأذن شيخه "أبو محمد الجزولي".

12- إبراهيم بن صالح بابا حمو أعزام: غصن البان في تاريخ وارجلان، دراسة وتحقيق، إبراهيم بن بكير بحاز، وسليمان بن محمد بومعقل، ط1، العالمية، غرداية، 2013م، ص ص148-149.

13-طالب حما بلحاج: تاريخ مدينة ،مرجع سابق، ص ص2-3.

14-الحاج بن الدين الأغواطي: رحلة الأغواطي، تحقيق وتقديم أبو القاسم سعد الله، الجزائر، 2011، ص91.